المحاضرة الخامسة :علم المعاني وأقسامه

علم المعاني من المصطلحات التي أطلقها البلاغيون على مباحث بلاغية تتصل بالجملة وما يطرأ عليها من تقديم وتأخير ،أو ذكر وحذف ،أو تعريف وتنكير ،أو قصر أو فصل ووصل ،أو إيجاز وإطناب.

1_ مفهوم علم المعاني: هو فرع من فروع البلاغة يختص بعنصر المعاني والأفكار.

وهو"علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يكون بليغاً فصيحاً في أفراده وتركيبه"

معنى ذلك أنه علم يختص بمعرفة الأصول والقواعد المعلومة التي يسير وفقها المتكلم في معرفة مقاصد الكلام، "فمنه نعرف مثلا :

_ أن العرب توجز إذا شكرت أو اعتذرت .

_ أن العرب تطنب إذا مدحت.

_ أن الجملة الاسمية تأتي لإفادة الثبات بمقتضى الحال .

فمتى وضع المتكلم تلك القواعد نصب عينيه لم يزغ عن أساليبهم ونهج تراكيبهم وجاء كلامه مطابقا لمقتضى الحال التي يورد فيها .

والمراد بـ "مقتضى الحال" الأمر الداعي للمتكلم إلى إيراد خصوصية أو أمر عارض في كلامه، وتلك الخصوصية هي مقتضى الحال.

2_ **أقسام الكلام:** ينقسم الكلام عند علماء البلاغة إلى :خبر وإنشاء.

أولا_ مفهوم الخبر: وهو "ما احتمل الصدق والكذب لذاته"[1]، فينظر إلى احتمال الصدق والكذب إلى الكلام نفسه لا إلى قائله . وللأسلوب الخبري أغراض حقيقية وأخرى مجازية:

أ_ الأغراض الحقيقية:

[1] - أيمن أمين عبد الغني: الكافي في البلاغة، دط، دار التوفيقية للتراث، القاهرة، دت، ص 229 .

- فائدة الخبر: ويقصد بها إفادة المخاطب بحكم لم يعرفه المخاطب من قبل .

مثال: "ولد النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ عام الفيل وأوحي إليه في سن الأربعين، وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة وبالمدينة عشرا" .

- لازم الفائدة :قد يلقى الخبر لإفادة المخاطب أن المتكلم عالم بهذا الحكم .

مثال: أنت تراجع دروسك كل يوم.
في هذا المثال تجد أن المتكلم لم يقصد من هذا المثال أن يفيد السامع شيئا مما تضمنه الكلام من الأحكام، لأن ذلك معلوم لدى السامع قبل أن يعلمه المتكلم، وإنما يريد أن يبين بأنه عالم بما تضمنه الكلام، فالسامع في هذه الحال لم يستفد علما بالخبر نفسه .

ب-الأغراض المجازية التي يخرج إليها الخبر:

_ الفخر: مثل قول أبو فراس الحمداني :
ومكارمي عدد النجوم ومنزلي مأوى الكرام ومنزِل الأضياف.
_ المدح : مثل قول النابغة الذبياني:
فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب.
- الرثاء: مثل قول "مروان بن أبي حفصة" في رثاء "معن بن زائدة" :
كأن الشمس يوم أصيب معن من الإظلام مُلبسة جلالا.
- إظهار الشكوى: مثل قول "أبو فراس الحمداني" في مرض موته :
دبّ فيّ السقام سفلى وعلوى وأراني أموت عضوا فعضوا.
- إظهار الاسترحام والاستعطاف:
مثل قول إبراهيم بن المهدي يخاطب المأمون:
أتيت جرما شنيعا وأنت للعفو أهل
فإن عَفوتَ فمنٌّ وإن قتلت فعدل.

ويُعدّ السياق أساس تحديد هذه الأغراض .

ج-أقسام الخبر:

- الخبر الابتدائي:

وهو الكلام الذي يصاغ خاليا من أي توكيد، "ويتجرد الخبر من التوكيد حين

يكون المخاطب خالي الذهن من مدلول الخبر"[2].

مثال: كتب معاوية إلى أحد عماله فقال:"لا نلين جميعا فيسرح الناس في المعصية، ولا نشتد جميعا فنحمل الناس على المهالك، ولكن تكون أنت للشدة والغلظة، وأكون أنا للرأفة والرحمة".

- الخبر الطلبي:

وهو الكلام الذي يصاغ معززا بمؤكد "ويؤكد بمؤكد واحد حين يكون المخاطَب شاكا

في مدلول الخبر طالبا التثبت من صدقه"[3].

كقول الشاعر:

إن البناء إذا ما انهدّ جانبه لم يأمن الناس أن ينهدّ باقيه .

- الخبر الإنكاري:

يؤكد بمؤكد أو أكثر، حين يكون المخاطب منكرا[4]، نحو قوله تعالى : ﴿**إِنَّ النَّفسَ لَأَمّارَةٌ بِالسُّوءِ** ﴾ سورة يوسف/الآية 53.

---

[2] - إبراهيم مصطفى وآخرون: المعاني، دط، دار الظاهرية للنشر والتوزيع، دت ، ص 51 .

[3] - المرجع نفسه: ص 51.

[4] - المرجع نفسه: ص 52 .

د-مؤكدات الخبر:

للخبر مؤكدات كثيرة منها : إنّ : وهى التى تنصب الاسم وترفع الخبر ، ومنها قوله تعالى : ﴿**يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ**﴾ ، وقوله : ﴿ **يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ**﴾ سورة الحج/1

- أنّ : وهى التى تنصب الاسم وترفع الخبر ، كقوله تعالى:﴿**قُلْ إِنَّما يُوحى إِلَيَّ أَنَّما إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ**﴾سورة الأنبياء/ 108 .

- كأنّ : وفيها التشبيه المؤكد إن كانت بسيطة وإن كانت مركبة من كاف التشبيه و «أنّ» فهى متضمنة لأنّ فيها ما سبق وزيادة. كقوله تعالى :

﴿**وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْ لا أَنْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنا لَخَسَفَ بِنا ، وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكافِرُونَ**﴾ سورة القصص/82.

- لكنّ : لتأكيد الجمل ، وقيل : للتأكيد مع الاستدراك ، وقيل : إنّها للتوكيد دائما مثل «إنّ» ومنه قوله تعالى : ﴿**إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ، وَلكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾

سورة القصص/ 56

- لام الابتداء : وتفيد تأكيد مضمون الجملة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعاءِ﴾ سورة إبراهيم/ 39

- الفصل : وهو من مؤكدات الجملة ، وقد نصّ سيبويه على أنّه يفيد التأكيد ، وقال فى قوله تعالى : ﴿**إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مالاً وَوَلَداً**﴾ سورة الكهف /39. إنّ ضمير الفصل «أنا» وصف للياء في «ترنى» يزيد تأكيدا.

-أمّا : وهى حرف شرط وتفصيل وتوكيد ، ومنه قول الشاعر :

ولم أر كالمعروف أمّا مذاقه فحلو وأمّا وجهه فجميل.

- قد : وهى حرف تحقيق ، ومنه قوله تعالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ**﴾سورة المؤمنون/1، 2.

- السين : وهى حرف يختص بالمضارع ويخلصه للاستقبال مثل قول الشاعر :

سيعلم الجمع ممن ضمّ مجلسه بأنّنى خير من تمشى به قدم

- القسم : وهو عند النحاة جملة يؤكد بها الخبر ، وللقسم أحرف هى : الباء والواو والتاء ومنه قول ابن أبى ربيعة :

فو الله لا أدرى وإن كنت داريا بسبع رمين الجمر أم بثمان.

- نونا التوكيد : وهما الثقيلة والخفيفة، ومنه قول الشاعر :

لأستسهلنّ الصّعب أو أدرك المنى فما انقادت الآمال إلا لصابر

- لن : يؤتى بها لتأكيد النفي ، كقوله تعالى : ﴿**وَلَمَّا جاءَ مُوسى لِمِيقاتِنا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قالَ : رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ، قالَ : لَنْ تَرانِي ، وَلكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ ، فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكانَهُ فَسَوْفَ تَرانِي**﴾ سورة الأعراف / 143 .

ومنه قول الطرماح :

لقد زادني حبا لنفسي أنني بغيض إلى كل امرئ غير طائل

وأنّى شقي باللئام ولن ترى شـــــــقيّا بهم إلّا كريم الشمائـــــــــــل

- الحروف الزائدة : وهى كثيرة ، منها الباء كما في قول معن بن أوس :

ولست بماش ما حييت لمنكر من الأمر لا يمشى إلى مثله مثلى

و «من» كقوله تعالى : ﴿**ما تَرى فِي خَلْقِ الرَّحْمنِ مِنْ تَفاوُتٍ**﴾ سورة الملك/3.

- حروف التنبيه : ومنها «أما» حرف استفتاح وتكثر قبل القسم ، كقول أبى صخر الهذلي :

أما والذي أبكى وأضحك والذي أمات وأحيا والذي أمره الأمر

لقد تركتني أحسد الوحش أن أرى أليفين منها لا يروعهما النّفر .

و «ألا» الاستفتاحية كقول المعرى :

ألا في سبيل المجد ما أنا فاعل عفاف وإقدام ومجد ونائل

ثانيا- مفهوم الإنشاء: "هو الكلام الذي لا يحتمل الصدق والكذب لذاته، وذلك لأنه ليس لمدلول لفظه قبل النطق به وجود خارجي يطابقه أو لا يطابقه".

أقسامه: الإنشاء قسمان: طلبي، وغير طلبي .

1-الإنشاء الطلبي: ما يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب، ويكون بالأمر والنهي والاستفهام والتمني والنداء.

أ-الأمر:

وهو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام ،وقد يخرج الأمر عن معناه الأصلي - إلى معان أخرى تفهم من سياق الكلام ، ومن هذه الأغراض المجازية :

-**الدعاء :** وهو الطلب على سبيل التضرع ، كقوله تعالى ﴿**رَبَّنا إِنَّنا سَمِعْنا مُنادِياً يُنادِي لِلْإِيمانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ ، فَآمَنَّا ، رَبَّنا فَاغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئاتِنا وَتَوَفَّنا مَعَ الْأَبْرارِ**﴾ سورة آل عمران/193.

- **الالتماس** : وهو الطلب الصادر عن المتساوين قدرا ومنزلة على سبيل التلطف كقول ابن زيدون :

دومى على العهد مادمنا محافظة فالحرّ من دان إنصافا كما دينا

-التمني : وهو الطلب الذي لا يرجى وقوعه ، كقول عنترة :

يا دار عبلة بالجواء تكلمي وعمى صباحا دار عبلة واسلمي.

ومن أغراض الأمر المجازية الأخرى نذكر: النصح والإرشاد، والتعجيز، والتهديد، والتسخير والاحتقار...

ب-النهى :

النهى طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام. ويتفق مع الأمر فى :

- أنّ كل واحد منهما لا بدّ فيه من اعتبار الاستعلاء.

- أنّهما يتعلقان بالغير ، فلا يمكن أن يكون الإنسان آمرا لنفسه أو ناهيا لها.

- أنّهما لا بدّ من اعتبار حال فاعلهما فى كونه مريدا لهما.

ويختلفان فى :

- أنّ كل واحد منهما مختص بصيغة تخالف الآخر.

- أنّ الأمر دالّ على الطلب ، والنهى دالّ على المنع.

- أنّ الأمر لا بدّ فيه من إرادة مأموره ، وأنّ النهى لا بدّ فيه من كراهية منهيه.

وللنهى صيغة واحدة هى المضارع المقرون بـ «لا» الناهية الجازمة ، كقوله تعالى : ﴿**وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً**﴾سورة الحجرات/12.

وقد تخرج هذه الصيغة إلى معان مجازية كثيرة منها :التوبيخ والتهديد، والتحقير، والتيئيس...

ج-الاستفهام :

الاستفهام طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل ، وهو الاستخبار الذي قالوا فيه إنّه طلب خبر ما ليس عندك ، أي طلب الفهم. ومن أغراضه المجازية: النفي والتعجب...

د-النداء :

النداء التصويب بالمنادى ليقبل أو هو طلب إقبال المدعو على الداعى ، وله أدوات هى :

- الهمزة : وتكون لنداء القريب .

- (أ) حرف لنداء البعيد .

- أيا : وتكون لنداء البعيد وقيل : لنداء القريب والبعيد .

- أى : لنداء البعيد.

- آى : لنداء البعيد.

- هيا : لنداء البعيد.

- وا : لنداء البعيد .

- يا : لنداء البعيد ، وقد ينادى به القريب توكيدا ، وقيل : هى مشتركة بين القريب والبعيد وهى أكثر أحرف النداء استعمالا [5]، كقوله تعالى : ﴿**يا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ**﴾ البقرة/35، وقد تحذف كما فى قوله تعالى : ﴿**يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هذا**﴾ يوسف/ 29.

[5]- ينظر: أحمد مطلوب، أساليب بلاغية، ص 127 .

2- الإنشاء غير الطلبي: مـــــا لا يستدعي مطلوبــا، ولـــــــه عدة أساليب منها التعجب والقسم [6].

[6] - المرجع نفسه: ص 67 .